

تفسير ابن كثير

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات { ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات } أي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشر الله تعالى لهم به قوله تعالى : { قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى } أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عندي وتذروني أبلغ رسالات ربى إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاووسا يحدث عن ابن عباس رضهما أنه سئل عن قوله تعالى إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد فقال ابن عباس : عجلت إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن لا تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة انفرد به البخاري ورواه الإمام أحمد بن يحيى القطان عن شعبة به وهكذا روى عامر الشعبي والصحاوة وعلي بن أبي طلحة والوعوفي ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا هاشم بن القاسم بن زيد الطبراني وجعفر القلانسى قالا : حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في تودونى أن إلا أجرًا عليه أسألكم لا [م رض عليه الله صلى الله عليه وسلم] رسول لهم قال : قال هما نفسى لقرا بي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم [روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد بن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن قزعة بن سويد عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا أسألكم على ما آتتكم من البيانات والهدى أجرًا إلا أن توادوا الله وأن تقربوا إليه بطاعته] وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول إلا المودة في القربى أي إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربيكم عند الله زلفى وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال معنى ذلك أن تودونى في قرابةي أي تحسنوا إليهم وتبوروهم .

وقال السدي عن أبي الديلم قال : لما جاء علي بن الحسين رض وأسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد للذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين رض : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم

أقرأ آل حم قال : ما قرأت { قل لا أسائلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } قال : وإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم وقال أبو إسحاق السباعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى : { قل لا أسائلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } فقال : قربى النبي صلى الله عليه وسلم رواهـما ابن جرير .

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام حدثني يزيد بن أبي زياد عن مقدم عن ابن عباسـهما قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباسـهما - شك عبد السلام - لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال : [يا معاشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟] قالوا بلـى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم : [ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي ؟] قال : [قالوا بلـى يا رسول الله قال : [أفلـا تجـبونـي ؟] قالـوا : ما نقول يا رسول الله ؟] قال : [ألا تقولون ألم يخرجـكـ قومـكـ فـآـوـيـنـاكـ أـوـلـمـ يـكـذـبـوكـ فـصـدـقـنـاكـ أـوـلـمـ يـخـذـلـوكـ فـنـصـرـنـاكـ] قال : [بما زالـ صلى الله عليه وسلم يقولـ حتىـ جـثـواـ عـلـىـ الرـكـبـ وـقـالـواـ : أـمـوـالـنـاـ فـيـ أـيـدـيـنـاـ] ولرسوله قال : فنزلـتـ { قـلـ لـاـ أـسـأـلـكـمـ عـلـيـهـ أـجـرـاـ إـلـاـ مـوـدـةـ فـيـ قـرـبـىـ } وهـكـذاـ رـوـاهـ ابنـ أبيـ حـاتـمـ عنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ عـنـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ بـنـ عـلـيـ عـنـ عـبـدـ السـلـامـ عـنـ يـزـيدـ بـنـ أـبـيـ زـيـادـ وـهـوـ ضـعـيفـ بـإـسـنـادـ مـثـلـهـ أـوـ قـرـيـباـ مـنـهـ وـفـيـ الصـحـيـحـينـ فـيـ قـسـمـ غـنـائـمـ حـنـينـ قـرـيـبـ مـنـ هـذـاـ السـيـاقـ وـلـكـ لـيـسـ فـيـ ذـكـرـ نـزـولـ هـذـهـ اـلـاـيـةـ وـذـكـرـ نـزـولـهـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ فـيـهـ نـظـرـ لـأـنـ السـوـرـةـ مـكـيـةـ وـلـيـسـ يـظـهـرـ بـيـنـ هـذـهـ اـلـاـيـةـ وـهـذـاـ السـيـاقـ مـنـاسـبـةـ وـاـلـ أـعـلـمـ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباسـهـ قال : لما نزلـتـ هـذـهـ اـلـاـيـةـ { قـلـ لـاـ أـسـأـلـكـمـ عـلـيـهـ أـجـرـاـ إـلـاـ مـوـدـةـ فـيـ قـرـبـىـ } قالـواـ : يا رسول الله من هـؤـلـاءـ الـذـينـ أـمـرـ اللهـ بـمـوـدـتـهـ ؟] قالـ : [فـاطـمـةـ وـوـلـدـهــهماـ] وـهـذـاـ إـسـنـادـ ضـعـيفـ فـيـهـ مـبـهمـ لـاـ يـعـرـفـ عـنـ شـيـخـ شـيـعـيـ مـخـتـرـقـ وـهـوـ حـسـينـ الأـشـقـرـ وـلـاـ يـقـبـلـ خـبـرـهـ فـيـ هـذـاـ المـحـلـ وـذـكـرـ نـزـولـ اـلـاـيـةـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ بـعـدـ بـدرـ مـنـ السـنـةـ الثـانـيـةـ إـذـ ذـاكـ لـفـاطـمـةـهاـ أـوـلـادـ بـالـكـلـيـةـ فـإـنـهـاـ لـمـ تـنـزـوـجـ بـعـلـيـهــ إلاـ بـعـدـ بـدرـ مـنـ السـنـةـ الثـانـيـةـ مـنـ الـهـجـرـةـ وـالـحـقـ تـفـسـيـرـ هـذـهـ اـلـاـيـةـ بـمـاـ فـسـرـهـاـ بـهـ حـبـرـ الـأـمـةـ وـتـرـجـمـانـ الـقـرـآنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـبـاسـ وـاحـتـرـاـمـهـ إـلـيـهـ بـالـإـحـسـانـ وـالـأـمـرـ الـبـيـتـ بـأـهـلـ الـوـصـاـةـ نـنـكـرـ وـلـاـ الـبـخـارـيـ عـنـهـ رـوـاهـ كـمـاـ هـمـاـ وـإـكـرـاـمـهـ فـإـنـهـمـ مـنـ ذـرـيـةـ طـاهـرـةـ مـنـ أـشـرـفـ بـيـتـ مـنـهـ نـنـكـرـ وـلـاـ الـبـخـارـيـ عـنـهـ رـوـاهـ كـمـاـ هـمـاـ إـذـ كـانـواـ مـتـبعـيـنـ لـلـسـنـةـ النـبـوـيـةـ الصـحـيـحـةـ الـوـاـضـحـةـ الـجـلـيـةـ كـمـاـ كـانـ عـلـيـهـ سـلـفـهـمـ كـالـعـبـاسـ وـبـنـيـهـ وـعـلـيـهـ وـأـهـلـ ذـرـيـتـهـ هـمـ أـجـمـعـيـنـ .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم : [إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض] وقال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب و قال : قلت : يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غصبا شديدا وقال [والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم الله رسوله] .

ثم قال أحمد : حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس و على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما لخرج فنرى قريشا تحدث فإذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله ودر عرق بين عينيه ثم قال صلى الله عليه وسلم : [والله لا يدخل قلب امرء مسلم إيمان حتى يحبكم الله ولقراحتي] وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر وهما عن أبي بكر - هو الصديق - و قال : أرقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته وفي الصحيح أن الصديق و قال لعلي و : والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبت إلي أن أصل من قرابتي وقال عمر بن الخطاب للعباس وهما والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبت إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب فحال الشيفين وهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ولهذا كانوا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين وهما وعن سائر الصحابة أجمعين .

وقال الإمام أحمد و : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التيمي حدثني يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحسين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم و فلما جلسنا إليه قال حسين : لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله و سمعت حدثته وغزوت معه وصليت معه لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله و فقال : يا ابن أخي لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله و و بما حدثكم فاقبلوه وما لا فلا تتكلفونيه ثم قال و : قام رسول الله و يوما خطيبا فيما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال و : [أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإنني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسدوا به] فحث على كتاب الله و ورغبه فيه وقال و : [وأهل بيتي أذركم في أهل بيتي أذركم في أهل بيتي] فقال له حسين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : إن نساءه لسن من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وهم قال : أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة ؟ قال : نعم وهكذا رواه مسلم والنمسائي من طرق يزيد بن حيان .

وقال أبو عيسى الترمذى : حدثنا علي بن المندى الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم ^{هـ} قال : قال رسول ^أ A : [إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تصلوا بعدي : أحدهما أعظم من الآخر : كتاب ^إ حبل ممدود من السماء إلى الأرض والآخر عترة أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما] تفرد بروايته ثم قال : هذا حديث حسن غريب وقال الترمذى أيضا : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد بن الحسن عن أبيه عن جابر بن عبد ^إ Bهما قال : رأيت رسول ^أ A في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : [يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تصلوا كتاب ^إ وعترتي أهل بيتي] تفرد به الترمذى أيضا وقال : حسن غريب وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد ^{هـ} .

ثم قال الترمذى أيضا : حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد ^إ A بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد ^إ A بن عباس عن أبيه عن جده عبد ^إ A بن عباس ^{هـ} قال : قال رسول ^أ A : [أحبوا ^إ A تعالى لما يغذوكم من نعمه وأحبونى بحب ^إ A وأحبوا أهل بيتي بحبي] ثم قال : حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث آخر عند قوله تعالى : { إنما يريد ^إ A ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا } بما أعني عن إعادتها ه هنا ^و الحمد والمنة وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد ^إ A عن أبي إسحاق عن حنش قال : سمعت أبا ذر ^{هـ} وهو آخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول ^أ A يقول : [إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح E من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك] هذا بهذا الإسناد ضعيف .

وقوله D : { ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا } أي ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا أي أجرًا وثوابا كقوله تعالى : { إن ^إ لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيما } وقال بعض السلف : إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جراء السيدة السيدة بعدها وقوله تعالى : { إن ^إ غفور شكور } أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكرون قوله جل وعلا : { ألم يقولون افترى على ^إ كذبا فإن يشاء ^إ يختم على قلبك } أي لو افترى عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون { يختم على قلبك } أي يطبع على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله : { ولو تقول علينا بعض الأقوايل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * } مما منكم من أحد عنه حاجزين } أي لا ننتقم منك أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يجز عنك .

وقوله جلت عظمته : { ويمح ^إ الباطل } ليس معطوفا على قوله { يختم } فيكون مجزوما

بل هو مرفوع على الابتداء قاله ابن جرير قال : وحذفت من كتابته الواو في رسم مصحف الإمام كما حذفت في قوله : { سندع الزبانية } وقوله تعالى : { ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير } وقوله D { ويحق الحق بكلماته } معطوف على { ويمح أهـ الباطل ويحق الحق } أي يتحقق ويثبته ويبيّنه ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه { إنه علیم بذات المدحور } أي بما تكتبه الصياغة وتنطوي عليه السرائر